لمحات من إعجاز القرآن اللغوي والبلاغي والعلمي

د.سيرت بتول[١]

الملخص

القرآن الكريم، بصفته الكتاب المقدس للمسلمين، يمثل معجزة خالدة تشمل مختلف أوجه الإعجاز البلاغي، الأدبي، العلمي، والتشريعي. وشكّل نزوله نقطة تحول في الأدب العربي، متحديًا أهل البلاغة والفصاحة بأسلوبه الفريد ونظمه العجيب. غير أن العرب كانوا في أوج تفوقهم اللغوي. ويعدّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة التي شملت مختلف وجوه الإعجاز البلاغي، الأدبي، التشريعي، والعلمي. شكّل نقطة تحول بارزة في الأدب العربي، متحديًا أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله أو بسورة من سوره، فكان عجزهم دليلًا على كونه كلام الله المعجز. يتميز القرآن بأسلوبه البياني الفريد، وبلاغته التي تجمع بين الإيجاز والدقة، مع محتوى يحمل هدى ونورًا للبشرية كافة. إضافة إلى ذلك، تتجلى مظاهر الإعجاز في تناوله الحقائق الكونية، وأسرار التشريع، وصياغته المحكمة التي تناسب جميع العصور، مما يجعله مصدر إلهام وهداية لا ينضب. وهذه الرسالة تسلط الضوء على أعجاز ا لقرآن اللغوي والبلاغي والأدبي.

الكلمات المفتاحية: إعجاز القرآن، بلاغة القرآن، الإعجاز العلمي، الإعجاز الأدبي

مفهوم الإعجاز

---

١ المحاضرة التعاقدية بالكلية الحكومية، فايلو لارنو، جامو وكشمير، الهند

البريد الإلكتروني: batoolseerat46@gmail.com

الإعجاز لغة مشتقة من "العجز"، والعجز هو عدم القدرة على أداء الشيء. العجز بمعنى الضعف؛ تقول: "عجزت عن كذا" أي ضعفت عنه. والعجوز سميت بذلك لعجزها عن كثير من الأمور، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٣١).

المعجزة في الاصطلاح

أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهدًا على صدقه[١]. لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، فهي خارجة عن حدود الأسباب المعروفة.

ذكر الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن تعريفًا للمعجزة بقوله: "المعجزة هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أو هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة[٢]".

القرآن الكريم: المعجزة الكبرى

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ من الله تعالى عز وجل، وهو آخر الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى لهداية الإنسان. فهو محفوظ عند الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

ليس غريبًا أن الإعجاز الإصلاحي يتمثل في عجز فصحاء العرب وبلغائهم عن الإتيان بمثله[٣]. القرآن الكريم هو: (نور، ومبين، وحكيم، وذكرى، ورحمة، وشفاء،

---

١ دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الرابعة عشرة، الرياض: دار النشر، ٢٠٠٥م، ص ٢٨١.

٢ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ٤٥٩.

٣ رونق البيان في إعجاز القرآن، الدكتور صابر حسن محمد أبو سليمان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٤١.

وفرقان، وكريم[١])، وتحمل هذه الصفات العالية المتنوعة التي ذكرت في مواضع متعددة فيه دلالة على إعجازه وبلاغته، وهو ما يجعل أسماء القرآن وصفاته موضع تأمل عميق بين سائر الألفاظ.

الإعجاز اللغوي

الإعجاز اللغوي هو الإعجاز الأساسي والرئيسي للقرآن الكريم، فهو أحد أعظم وجوه الإعجاز، وشامل لكل معاني كلمة "إعجاز". يتمثل هذا الإعجاز في ألفاظه وأسلوبه وبيانه ونظمه. يجد القارئ في القرآن الكريم صورة حيّة للكون والحياة والإنسان، وحيثما تأمل الإنسان في آياته، اكتشف أسرارًا من الإعجاز اللغوي.

من أمثلة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم سورة الكوثر. تحتوي هذه السورة الصغيرة في عدد كلماتها على معانٍ جليلة وعظيمة.

تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، وهو الخير الكثير الذي منه نهر الكوثر في الجنة. جاءت هذه الآية بعد ذكر المنافقين في السورة السابقة الذين ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، لبيان أن الله أعطى النبي ﷺ الخير الوفير مقابل بخل المنافقين.

ثم قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، أمر بالصلاة شكرًا على هذه النعمة، وبالنحر لتوزيع الخير على الناس. والنحر فيه إهراق الدماء لإطعام الجياع، كما يجري النهر بالماء لإحياء الأرض. وهكذا يجتمع إحياء الروح بالصلاة، وإحياء الأرض بالنهر، وإحياء الأجساد بالنحر.

تأمل الربط بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الذي يعني الخير الكثير، وبين الصلاة التي هي خير الأعمال وعذاء الروح، والنهر الذي هو غذاء الأرض.

واختتمت السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، أي أن من يعاديك هو

---

١ سورة المائدة، الآية ١٠؛ سورة آل عمران، الآية ٥٨؛ سورة الأعراف، الآية ١؛ سورة يونس، الآية ٥٧؛ سورة الفرقان، الآية ١؛ سورة الواقعة، الآية ٧٧.

المنقطع والمقطوع. وهكذا تكتمل المعاني بالعطاء الإلهي للنبي ﷺ وقطع كل من يعاديه.

في هذه السورة نجد جمال المعاني وتناسق الكلمات والحروف، بحيث يشعر القارئ بعظمة النص. من ذلك تكرار حرف الراء، خاصة في كلمة "الكوثر"، الذي يضفي تفخيمًا وشعورًا بالعظمة والانبهار. وعند الوقوف على كلمة "الأبتر"، يشعر القارئ بالقوة والحسم.

أنواع الإعجاز في القرآن الكريم

إنّ القرآن الكريم معجزة عظيمة شاملة. ولإعجازه أنواع متعددة، نقتصر هنا على أهمها: الإعجاز اللغوي، الإعجاز العلمي.

الإعجاز اللغوي

الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين رئيسيين :الإعجاز البياني والإعجاز التصويري.

الإعجاز البياني

القرآن الكريم يتميز بتأليف عجيب لا يُشبه نثر الجاهلية ولا ينظم على أوزان شعرهم، كما أنه لا يتبع أسلوب السجع. بل يمتلك أسلوبًا خاصًا فريدًا لا يستطيع أحد تقليده في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل.

أمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

الفرق بين "لمن عزم الأمور" و"من عزم الأمور":

يقول الله تعالى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

عند التأمل في الآيتين نجد أن الآية الأولى استخدمت حرف التوكيد "لـ"(لمن)، بينما الآية الثانية خلت من هذا التوكيد.

إذا فرّقنا بينهما نجد أن الصبر نوعان:

صبر على أمور غير ملموسة :مثل المرض، وهو شيء محسوس داخلي لا نراه. هذا النوع يحتاج إلى صبر، ولكنه أقل شدة، ولهذا قال الله: ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

صبر على أمور ملموسة :مثل الظلم أو الاعتداء، حيث يكون هناك طرف آخر يشترك في الحدث. هذا النوع أشد شدة، ولهذا قال الله: "لمن عزم الأمور".

دقة التعبير في وصف العذاب:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٦).

في هذه الآية نرى استخدام كلمة "مستهم" بدلاً من "أصابتهم"، وكلمة "نفحة" بدلاً من "عذاب"، وكلاهما يدل على أدنى درجات العذاب. هذا الاستخدام يبين ضعف الإنسان أمام أقل درجات العذاب، فإذا لم يستطع الصبر أمام نفحة، فكيف يستطيع مواجهة العذاب الكامل الذي توعد الله به الكافرين؟

حيث العلاقة هنا تفتقد المودة، فتم استخدام "امرأة."

في قصة زكريا عليه السلام نجد دقة الاستخدام أيضًا:

قال زكريا: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم: ٥)، استخدم كلمة "امرأتي" لأن زوجته لم تنجب.

وعندما استجاب الله دعاءه قال: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، فتحولت الكلمة من "امرأة" إلى "زوجة" بعد أن أنجبت ولدًا.

الإعجاز التصويري

التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم، حيث يعبر عن المعاني الذهنية بصور حسية متخيلة، ويصور الحالات النفسية، والحوادث المحسوسة، والمشاهد المتطورة، والنماذج الإنسانية، والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ليمنحها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة، فيتحول المعنى الذهني إلى

هيئة، والحالة النفسية إلى لوحة، والنموذج الإنساني إلى كيان شاخص، والطبيعة إلى مشهد مجسم. أما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيعرضها القرآن الكريم بطريقة تجعلها حية نابضة أمام القارئ، وكأنها مشهد مسرحي أو فيلم يعرض أمامك[١].

أمثلة على الإعجاز التصويري في القرآن الكريم:

تصوير أعمال الكفار والمؤمنين:

يستخدم القرآن الكريم التصوير الفني ليبرز الفرق بين أعمال الكفار وأعمال المؤمنين. وعلى سبيل المثال، يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان: ٢٧).

في هذه الآية نجد وصفًا دقيقًا ليوم القيامة، حيث استخدم الله كلمة "ثقيلا" لوصف هذا اليوم، مما يبرز ثقله وشدته، ليس فقط في المعنى المادي، بل أيضًا في التأثير النفسي والمعنوي على الإنسان.

تصوير القيامة ومشاهدها:

القرآن الكريم يصور مشاهد القيامة بطريقة تجعل القارئ يعيش أجواءها ويشعر بهولها، كأنها تحدث أمام عينيه. من خلال الكلمات والتراكيب، تصبح القيامة مشهدًا شاخصًا حيًا.

هكذا نرى أن القرآن الكريم مليء بالإعجاز اللغوي بأقسامه البياني والتصويري. وقد اقتصرنا في هذا الفصل على بعض الأمثلة البسيطة. ومع ذلك، فإن جميع آيات القرآن تحمل في طياتها شيئًا من الإعجاز اللغوي الذي يبرز عظمة هذا الكتاب الكريم.

القرآن الكريم: إعجاز أدبي وبلاغي

---

١ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ٣٤.

ظل إعجاز القرآن الكريم البلاغي موضع الحوار بين البلغاء عبر العصور. تحدى الله سبحانه وتعالى أهل الفصاحة والبلاغة من العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨). وقال الله تعالى في موضع آخر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣). حتى تحدى أن يأتوا بسورة واحدة قائلا: ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣). ولا يستطيع أحد من الإنس أو الجن أن يأتي بمثل هذا القرآن في ألفاظه أو معانيه. كان العرب في الجاهلية فحول الشعراء ونوابغ اللغة الذين أبدعوا في أشعارهم ومهاراتهم اللغوية، لكنهم عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن. إن جمال المعاني وتناسق الكلمات والحروف واشتمال اللفظ القليل على معانٍ عظيمة يجعل أي متخصص في علوم البلاغة عاجزًا عن اقتراح تحسين أو تغيير في نص القرآن. لا يمكن لأي عالم بلسان العرب أن يقول إن تغيير حرف أو كلمة أو ترتيبها سيجعل النص أفضل، بل يقف مبهورًا أمام النص القرآني. وهذا كله من فيض بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي.

سحر القرآن وتأثيره في نفوس العرب

لقد سحر القرآن عقول العرب واستحوذ على نفوسهم، فقد كان العرب يعتزون بطلاوة لسانهم وفصاحة كلامهم، ويفخرون بقدرتهم البيانية التي ظهرت في أشعارهم وخطبهم. ومع ذلك، لم يلبثوا أن أذهلهم هذا الكتاب المعجز بجماله وبيانه، فصاروا يصغون إليه باهتمام بالغ، وتأثروا منه تأثرًا عميقًا.

إيمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نموذج لسحر القرآن

من أبرز الأمثلة على تأثير القرآن، قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقد أورد ابن إسحاق رواية ملخصها أن عمر رضي الله عنه خرج متوشحًا بسيفه

قاصدًا قتل رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ مع بعض أصحابه في بيت عند الصفا.

وفي الطريق، لقيه نعيم بن عبد الله، فسأله عن وجهته. وعندما عرف غرضه، حذره من بني عبد مناف، ووجهه إلى أهله، حيث أشار إليه أن ختنه سعيد بن زيد وأخته فاطمة بنت الخطاب قد أسلما.

توجه عمر إلى بيت أخته، وسمع خباب بن الأرت يتلو عليهما القرآن. فاقتحم الباب وبطش بختنه سعيد، وضرب أخته فاطمة. وعندما رأى الدم ينزف منها، رق قلبه وطلب الصحيفة التي كانت بين يديها. قرأ عمر من سورة "طه"، وعندما بلغ قوله تعالى:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ١٥).

قال عمر: "ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!" ثم توجه إلى النبي ﷺ، وأعلن إسلامه. فكبر النبي ﷺ، وعرف أصحابه أن عمر قد أسلم.

عتبة بن ربيعة وقوة تأثير القرآن

ومن القصص التي تظهر إعجاز القرآن، ما روي عن عتبة بن ربيعة، الذي سمع من النبي ﷺ الأجزاء الأولى من سورة فصلت .وعندما عاد إلى قريش، قال لهم:

"والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالًا، ولكني لما قصصت عليه القصة أجابني بشيء والله ما هو بشعر، ولا كهانة، ولا سحر".

ثم تلا عليهم ما سمع حتى بلغ قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١٣).

الوليد بن المغيرة واعترافه بجمال القرآن

وروي عن الوليد بن المغيرة أنه عرض على النبي ﷺ الدنيا ومتاعها مقابل ترك الدعوة الإسلامية، فلم يقبل النبي ﷺ، وقرأ عليه القرآن. عاد الوليد إلى قريش وقال:

"فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا. والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته".

القرآن الكريم معجزة خالدة لكل عصر، يبقى عطاؤه مستمرًا لا ينقطع. فقد شاء الله أن يجد فيه كل جيل حاجته وهدايته. يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩). حقًا، لو كانت بحار الدنيا حبرًا يُكتب به كلمات الله وحكمه وعجائبه، لنفد ماء البحر، ولما انتهت كلمات الله، لأنها غير متناهية، كعلمه سبحانه وتعالى.

القرآن الكريم و أثره في الأدب العربي

القرآن الكريم وثيق الصلة بالآداب العربية، حتى يمكن القول إنه رأس الأدب العربي وقلبه النابض. فمنذ نزوله، ظل الأدب العربي يستقي من منهله، لفظًا ومعنى، وتأثر بأساليبه ومعانيه البليغة.

القرآن الكريم لم يكن مجرد كتاب تشريعات وقوانين، بل كان مصدرًا لإحياء اللغة والأدب العربي، وأثره واضح في كل مجالات الفكر والثقافة في العالم العربي والإسلامي.

من أعظم مظاهر إعجاز القرآن الكريم أسلوبه الأدبي البليغ. كان العرب في الجاهلية في قمة الأدب شعرًا ونثرًا، ولم يكن أحد في العالم يبلغ درجتهم الأدبية في ذلك العصر. برز فيهم فحول الشعراء مثل امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وغيرهم من الأدباء العباقرة. كما اشتهروا بالمعلقات السبع وبأبياتهم الشعرية المشهورة. إلى جانب ذلك، كان لديهم خطباء نبلاء مثل قس بن ساعدة الإيادي وعمرو بن معدي كرب. لذلك، كان من المناسب أن ينزل الله القرآن الكريم بصبغة أدبية تفوق أدبهم.

المعجزة الحسية والعقلية

أوتي الأنبياء السابقون معجزات حسية، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، وإحياء الموتى بإذن الله على يد عيسى عليهم السلام. وسميت هذه المعجزات بالحسية لأنها انقرضت بانقراض الأجيال التي شهدتها. فلم يرها بأبصارهم إلا من كان حاضرًا وقت

حدوثها.

أما المعجزة العقلية، فهي متمثلة في القرآن الكريم، الذي يبقى معجزة قائمة إلى يوم القيامة. لا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه دليل جديد على صحة دعوة النبي ﷺ. فالقرآن معجزة مشاهدة بعين العقل لكل عصر ولكل جيل.

وفي حين أن طائفة من العلماء قصرت إعجاز القرآن على بلاغته وفصاحته، رأت طائفة أخرى أن القرآن معجز أيضًا فيما تضمنه من أخبار الماضي والمستقبل. ورأت طائفة أخرى أنه معجز فيما قرره في تشريعاته وتبيينه للحلال والحرام وسائر الأحكام. بينما رأى آخرون أن من إعجاز القرآن المناسبات العجيبة بين سوره وآياته، سواء في فواتح السور أو خواتيمها. وذهب بعضهم إلى القول بأن القرآن معجز فيما يحتويه من العلوم والحكم البليغة على اختلافها، حتى أن بعض العلماء ذكر أربعين وجهًا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم[١].

الإعجاز العلمي

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يقصد به حديث القرآن عن حقائق الكون والخلق والفضاء والبحار، وعوالم الإنسان والحيوان والنبات، وما إلى ذلك. وقد تطور العلم بشكل كبير في هذه المجالات في الآونة الأخيرة، وهو ما يكشف عن توافق بين ما أشار إليه القرآن وما أثبته العلم الحديث.

القرآن الكريم ليس كتابًا علميًا أو مجموعة من كتب الطب أو الكيمياء أو الجغرافيا، ولكنه دستور سماوي يحمل في طياته هدى ونورًا يوجه به الله من اتبع رضوانه نحو سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

أهداف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

---

١ الكلمات، بديع الزمان النورسي، ج ١، ص ٤٢١، ٥٤٠.

وللإعجاز العلمي في القرآن الكريم أهداف رئيسية ثلاثة:

تثبيت مبدأ وحدانية الله عزوجل

الله سبحانه وتعالى هو الخالق القادر المدبر، الذي قدر الأمور فجرت على تقديره، وأوجدها في هذا النظام المتناسق. سواء في البحار، أو الفضاء، أو الجبال، أو الإنسان، أو الحيوان، أو النبات، نجد نظامًا متكاملاً لا يصادمه أي خلل، بل هو خلق متكامل وراءه إرادة واحدة.

إثبات صدق محمد ﷺ

الإعجاز العلمي يثبت صدق النبي ﷺ الذي كان أميًا، ومع ذلك جاء بمعارف وعلوم لم يتمكن كبار العلماء من الوصول إلى بعضها حتى اليوم. وهذا دليل على أن الله عز وجل أوحى بها إليه. قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

إثراء المعرفة البشرية

القرآن الكريم مصدر مهم من مصادر المعرفة البشرية. فهو يفتح أبوابًا من العلوم والمعارف التي تثري الفهم البشري وتدفع الإنسان إلى التفكير والتأمل في آيات الله في الكون والحياة.

الإعجاز العلمي: رؤية شاملة ومتوازنة

القرآن الكريم لم ينزل لتطبيق النظريات العلمية أو تحقيق الأفكار البشرية، فلا يمكننا أن نطبق آيات القرآن على نظريات مفترضة، لأن هذه النظريات قد تكون صحيحة في وقت ما، ولكنها قد تتغير أو تتطور مع الزمن. العلم في تطور مستمر، أما القرآن الكريم فهو كتاب محكم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

يقول مناع القطان في كتابه "*مباحث في علوم القرآن*":

"والذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم، ويحرصون

على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية، يسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعًا، لأن هذه المسائل التي تخضع لسنة التقدم تتبدل[١]".

ويقول **الشهيد سيد قطب** في تفسيره:

"وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها.. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه..[٢]".

ومع ذلك، فإن القرآن الكريم يشير إلى العديد من الحقائق العلمية التي تثبت إعجازه العلمي، وفيما يلي بعض الأمثلة:

أمثلة من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

خلق الإنسان

أول ما نزل من كتاب الله عز وجل قوله تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥). تشير هذه الآيات إلى أصل خلق الإنسان من "علق"، وهو طور من أطوار الجنين. الحديث عن خلق الإنسان في القرآن الكريم واسع ومستفيض، ويدل على أن القرآن الكريم ينظر إلى الخلق كأنه بين يدي الله يُنقل من مرحلة إلى أخرى. وكلما تطور علم الإنسان في مجالات الأجنة والخلق، ازداد يقينه بصدق ما ورد في القرآن.

---

١ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٨.

٢ في ظلال القرآن، سيد قطب.

الفضاء والكون

في عالم الفضاء، نجد في القرآن الكريم حقائق مذهلة:

يقول الله تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠). تشير الآية إلى دوران الأجرام السماوية في أفلاكها بدقة وتناسق. وفي وصف نشأة الكون يقول الله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

تشير الآية إلى أن السماوات والأرض كانتا متصلتين ثم انفصلتا، وهو ما يتطابق مع نظرية الانفجار العظيم (Big Bang) التي تشير إلى نشأة الكون.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يثبت مرة أخرى أنه كتاب لا يأتيه الباطل، وأنه تنزيل من الله الحكيم العليم. وعلى الرغم من أنه ليس كتابًا علميًا، إلا أنه يحمل في طياته إشارات علمية دقيقة تدعو الإنسان للتفكر والتأمل في خلق الله وعجائبه. والأمثلة المتقدمة للإعجاز العلمي ما هي إلا حلقة في سلسلة الإعجاز القرآني، إذ يمكننا استكشاف جوانب إعجازه في مجالات لا تحصى، مثل التشريع، واللغة، والتاريخ، والعلوم.

شمولية الإعجاز القرآني

يقول الزرقاني: "لقد اشتمل القرآن على آلاف من المعجزات، لا معجزة واحدة فحسب، فلم يذهب بذهاب الأيام، ولم يمت بموت الرسول ﷺ. بل هو قائم في فم الدنيا يجابه كل مكذّب، ويتحدى كل منكر، ويدعو أمم العالم جمعاء إلى ما فيه من هداية وتشريعات ونظم تكفل السعادة لبني الإنسان"[١].

١ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ٢، ص ٢٣٢.

وهكذا تتجلى دائرة الإعجاز القرآني عبر الأزمان بأوجه مختلفة ومتعددة، بحيث لم يجد العلماء موضوعًا من مواضيع المعرفة الإنسانية إلا وكان في القرآن الكريم دليل عليه[١].

القرآن: معجزة عقلية وبلاغية خالدة

القرآن الكريم هو معجزة عقلية وبلاغية خالدة مع خلود الدهر وبقاء الإنسان. ورسالة النبي ﷺ شاملة وخاتمة للرسالات السماوية، ولذلك كانت معجزاته متوافقة مع رسالته.

الخاتمة

القرآن الكريم ليس مجرد كتاب مقدس، بل هو معجزة خالدة تحمل في طياتها أوجه إعجاز متعددة تشمل البلاغة، التشريع، والعلم. يثبت القرآن الكريم ببلاغته عجز العقل البشري عن الإتيان بمثله، مما يعزز مصداقية الرسالة الإسلامية. كما أن إشاراته العلمية الدقيقة وتوافقه مع الفطرة الإنسانية، إضافة إلى منظومته التشريعية الشاملة التي تتسم بالمرونة والثبات، تجعل منه مصدر هداية صالحًا لكل زمان ومكان. يبقى القرآن الكريم شاهدًا حيًا على قدرة الله عز وجل وحجته البالغة على البشر، داعيًا الإنسانية إلى التأمل والتدبر في آياته.

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو سليمان، صابر حسن محمد .*رونق البيان في إعجاز القرآن* .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الجاحظ .*كتاب الحيوان* .دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- الراغب الأصفهاني .*كتاب الشين* .ص ٢٥٨.

---

١ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١٢، ص ٣٣٨.

- السيوطي، جلال الدين .*الإتقان في علوم القرآن* .ج ١٢، ص ٣٣٨.
- عبد المجيد .*الخصائص الفنية* .ص ٣٩-٤٠.
- قطب، سيد .التصوير الفني في القرآن .ص ٣٤.
- قطب، سيد .في ظلال القرآن.
- القطان، مناع .*مباحث في علوم القرآن* .مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٨.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم .*مناهل العرفان في علوم القرآن* .دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ٢/٢٣٢، ٢/٢٦٠، ص ٤٥٩.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان .*دراسات في علوم القرآن الكريم* . الطبعة الرابعة عشرة، الرياض، ٢٠٠٥م، ص ٧-٩، ٢٨١.
- النورسي، بديع الزمان .*الكلمات* .ج ١، ص ٤٢١، ٥٤٠.